



نجيب سعيد باوزير

أنا و الحياة .. السيرة الذاتية للقاص عبد الله سالم باوزير

طلب إلي الأخ والأبن المبارك إيهاب عبد الله سالم باوزير أن أتولى تقديم هذا العمل الكبير (أنا والحياة) السيرة الذاتية لوأله الراحل العزيز القاص الفنان الأستاذ عبد الله سالم باوزير ، فوضع علي كاهلي مهمة صعبة وممتعة في آن واحد أرجو أن يوفقني الله في أدائها . وكان الأستاذ الراحل قد أصدر الجزء الأول من سيرته الذاتية في كتاب مستقل تحت عنوان (إستعادة الزمن المفقود) ما زال يلقي ترحيباً كبيراً واحتفاءً به في أوساط النقاد والقراء العاديين على حد سواء بالرغم من الأخطاء والعيوب الطباعية في ذلك الإصدار . وهذا الترحيب والاحتفاء هو ما أتوقعه كذلك لهذه السيرة الكاملة الشاملة بأجزائها الثلاثة التي توفر الأستاذ القاص في أيامه الأخيرة على إعدادها للصدور ، ولكن القدر لم يمهله حتى يراها منشورة في كتاب .

وهذا يدفعني إلي أن استحضر ذكرى مبدع آخر في الأسرة كان له الشأن نفسه مع سيرته الذاتية ذلك هو الفنان المتعدد المواهب الأستاذ سالم عوض باوزير الذي رحل -رحمه الله- عن الدنيا بعد أن انتهى من إعداد سيرته الذاتية التي وضع لها عنوان (محطات على الطريق) . وسيتردد ذكر هذه الشخصية خلال صفحات السيرة الذاتية التي بين أيدينا ، فهو خال كاتب السيرة وكان له حضوره القوي في حياته . والغريب أن الرجلين تجمعهما نقاط التقاء كثيرة ، فبالإضافة إلى هذا التوافق بينهما في رحيلهما المبكر وفي شهر الرحيل - أكتوبر - وسيناريو النهاية ، هناك تشابه عجيب بين شخصيتيهما يتلخص على وجه العموم في طبيعتهما الخيرة الودودة التي تشع على كل من حولهما وفي روح الفنان الحالم وذوقه المرفه . ولا بد أن تظهر يوماً ما - إن شاء الله - سيرة الأستاذ سالم عوض باوزير فكل السيرتين تكمل إحداهما الأخرى في الحديث عن تاريخ ومجتمع وزمان ومكان مشته فيه والتقت خطى الاثنين وشاركت في رسم ملامح مرحلة مهمة من تاريخ الوطن وكانت شاهداً عليها .

نشرت في دورية (الفكر) الصادرة عن جمعية أصدقاء المؤرخ سعيد عوض باوزير في عام ١٩٩٨م وربما كانت قد نشرت قبل ذلك في صحيفة ١٤ أكتوبر العنيدية .

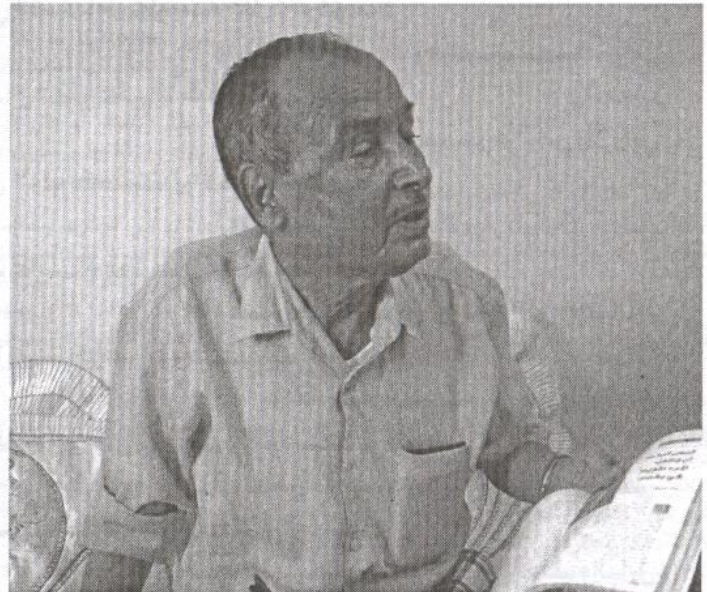
قد يظن بعض من يقر لون هذه المقدمة أنني أتعمد التلصص على الأستاذ باوزير باستخراج هذه التواريخ وأني أقصد بذلك على القارئ فكرة أنه مقبل على مطالعة قصة حياة متصلة الحلقات والفصول ومكتوبة في نفس واحد . غير أن باوزير الكاتب المتمرس الذي يعي تماماً ما يفعل . ويعطي نفسه الحرية الكاملة في إخراج سيرته بالصورة التي تحلو له وبما يعطيها تفردها الذي تتميز به عن باقي السير الذاتية ، نجده يعترف في الفصل الأخير من السيرة (مدن وأصدقاء) بأن فصل أو قصة (مبحوث) هي قصة خيالية استوحاها من نقاشاته مع شخصية حقيقية تعرف إليها لدى إحدى زياراته لجددة بالمملكة العربية السعودية ، ويذكر أنه نشر هذه القصة في مجلة (المسار) بعد عودته إلى عدن من تلك الزيارة أي ربما في أواخر عام ١٩٨٣م . بل إن (شفاوة) لفنان فيه - وكل فنان فيه شيء - من نزق ولعب الطفولة - والحرية التي سمح لنفسه بها جعلته يضم إلى هذا الجزء الأخير من السيرة قصة لا يحمل عنوانها اسم أو وصف شخصية معينة ، وليس حتى كنوان الفصل الأخير الذي توحى فيه كلمة (أصدقاء) بأشخاص معينين في حياته ، هذه القصة هي قصة (لوحة القصر) . ناهيك عن أن هذه القصة وقصة (العم مبارك) لا يستعمل فيهما الكاتب ضمير المتكلم . ويذكر الأستاذ باوزير في الفصل المعنون (دراساتي بالمعهد الديني) في الجزء الأول من السيرة أنه استلهم هذه القصة لصغيرة من لوحة فنية كان قد رسمها خاله الأصغر الفنان المعروف المرحوم سالم عوض باوزير - الذي أشرنا إليه في بداية هذه المقدمة - تصور حادثة القصر التي وقعت في المكلا عام ١٩٥٠م عندما هب المواطنون للمطالبة بسكرتير وطني للبلاد ، ويذكر أيضاً أن هذه القصة كانت جزءاً من مشروع كان لديه لتبسيط بعض الحوادث التاريخية للناسئين وأنها نشرت على صفحات مجلة (وضاح) للأطفال على حلقتين في نهاية الثمانينيات . وأغلب الظن أن الشخصية الواقعية المقصودة في هذه القصة هي شخصية الخال لرسام نفسه وليست شخصية الرجل و ولد الطفل ، بالرغم من أنه لا يصحح باسمه ولكنه يصف اللوحة التي تضاء

طريقة الصياغة والعرض ، وعملية الانتقاء والحذف ، ونقل الحوار وغير ذلك من الأمور التي لا يمكن أن تكون محاكاة مطابقة للواقع حتى في أكثر أنواع السيرة بدقة وأمانة تاريخية .

ولاشك أن هذا الارتباط والتماسج بين فن السيرة وفن القصة هو الذي أغرى أستاذنا الراحل باوزير بكتابة سيرته الذاتية ، فهو كاتب مفتون بالقص كما وصفه أحد النقاد . وهو وإن كان قد اختار أن يكتب سيرة ذاتية مباشرة يتحدث فيها عن نفسه بصيغة المتكلم ويصرح فيها غالباً بالأسماء الحقيقية للشخصيات والأماكن التي عايشها ولم يفعل ما فعله كثير من الأدباء من استخدام الترميز القصصي في عرض أحداث حياتهم ، إلا أن سيرته الذاتية يمكن أن ينظر إليها باعتبارها مجموعة قصص قصيرة من أجمل ما سطره الكاتب في هذا الفن . وقد نشرت كثير من فصول السيرة مستقلة على أساس أنها قصص قصيرة . خاصة الفصول التي وردت في

الجزء الثالث الذي يحمل عنوان (شخصيات في حياتي) . وقد أبقى الأستاذ باوزير على نفس العناوين التي نشرت تحتها تلك الفصول في السابق كقصص قصيرة ، وهي عناوين ذات طابع فني خاص وتختلف عن عناوين الجزء عين الأول والثاني . فمثلاً قصة (اليوم الأخير في حياة عبد التواب) عثرت عليها بمحض المصادفة وأنا أكتب هذه لسطور منشورة في عدد من مجلة (أفاق) الصادرة في المكلا يعود تاريخه إلى مارس عام ١٩٨٢م ، وهذه المجلة يصدرها اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين فرع محافظة حضرموت وقد تعثر صدورها في السنوات الأخيرة^(١) وقد وجدت أن الأستاذ باوزير أضاف كلمة (جاري) قبل اسم بطل القصة في النص المنشور ضمن هذه السيرة الذاتية . كما أن قصة (زمن الحاج مدهش) سبق أن

السيرة الذاتية - وهي ما يكتبه شخص ذو مقدرة كتابية ما عن حياته - فن أدبي معروف ينتمي إلى فن السيرة في إطارها العام الذي يتناول حياة الأفراد في الأدوار المتميزة أو التجارب الخاصة في التاريخ والمجتمع . ويمكن أن نعد هذا الفن - أي فن السيرة عموماً - فناً حديثاً إذا أخذنا بعين الاعتبار تلك المقومات والعناصر الفنية التي أكسبته تميزه عن الألوان المشابهة من الكتابة التي وصنت إلينا عبر العصور والتي تعنى بتاريخ ورصد المآثر والتجارب الإنسانية الفردية لبعض الشخصيات المهمة في التاريخ سواء في السياسة أو العلم أو الحرب أو غير ذلك من مجالات النشاط الإنساني . ولا غرو أن تلك المقومات والعناصر الفنية المقصودة هي ذات صلة وثيقة بفن القصة ، حيث أن الفنين - فن السيرة وفن القصة - كليهما ينقلان لنا صورة من الحياة إذا كانت تستند على الواقع في الأساس إلا أن فيها قدر من الخيال قد تزيد جرعه أو تنقص ، وقد يتمثل على أقل تقدير في



القاص باوزير ، في منزل كاتب المقال ، في أثناء آخر زيارة له إلى غيل باوزير - إبريل ٢٠٠٤ م تصوير : يون فان روسم